أسلوب الاختيار في الدراسات الأسلوبية

أ/ سامية محصول
جامعة الجزائر -02- بوزريعة

مقدمة:

اختلف العلماء في تحديد الأسلوبية فهي عند بعضهم فرع من اللسانيات، وعند الآخرين فرع من علم النفس ويعدها بعضهم امتدادا للبلاغة وبعضهم يضمها إلى النقد الأدبي على أن الأسلوبية علم مستقل لها منظورها الخاص للنص الأدبي ولها مناهجها الخاصة لتحليل الظاهرة الأسلوبية وإجراءات خاصة وهي تستفيد من هذه العلوم بقدر ما يخدم مناهجها[1]، فالعلوم تكمل وتخدم بعضها البعض، وهناك عدة فروع تتجاذبها عدة علوم، من خلال تداخل المفاهيم والإجراءات المنهجية المتبعة فيها، أو من خلال المنطلقات والأهداف فيها أحيانا أخرى.

"ارتبط الأسلوب ارتباطا وثيقا بالدراسات اللغوية التي قامت على يد العالم اللغوي دي سوسير (1857- 1913) من خلال التفريق بين اللغة langue والكلام parole وإذا كانت الدراسات اللغوية تركز على اللغة، فإن علم الأسلوب يركز على طريقة استخدامها وأدائها"[2]، فالأسلوبية ولدت من ضلع اللسانيات، ذلك أن أمرها يعود في الدراسات الحديثة إلى شارل بالي، وهو تلميذ دي سوسير، " يرتبط تحديد الأسلوبية عند شارل بالي باللسانيات إذ أن الأسلوب عنده يتجلى في مجموعة من الوحدات اللسانية التي تمارس تأثيرا معينا في مستمعها أو قارئها ومن هنا يتمحور هدف الأسلوبية حول اكتشاف القيم اللسانية المؤثرة ذات الطابع العاطفي"[3]، فالأسلوبية عنده هي: "العلم الذي يدرس وقائع التعبير اللغوي من ناحية محتواها العاطفي أي تعبير عن واقع الحساسية الشعورية من خلال اللغة وواقع اللغة عبر هذه الحساسية [4]، أو بمعنى آخر كيف توظف اللغة لرسم الحالة النفسية، تركيبات، دلالات...

وهكذا تكون الأسلوبية في صراعها الطويل بين أن تذوب في صميم اللسانيات أو أن تستقل الاستقلال الذاتي عنها قد راهنت على اختيارين يصعب التوفيق بينهما، وأول هذين الاختيارين أن تكسر الأسلوبية حدود الصرامة اللسانية التي قامت في ممارستها لدراسة الكلام البشري على الثنائية السوسيرية التقليدية (اللغة/ العبارة) ورمت بهذه الأخيرة خارج مشمولات البحث العلمي الدقيق لما تطلبته دراسة العبارة من بعد عن علمانية المنهج وذلك لارتباط هذه العبارة بذات متكلمة، "يجب أن يدرس نشاطها ضمن اختصاصات أخرى لا تمت للسانيات بصلة إلا ما تعلق

منها باللغة"[5]، ساعد ظهور الأسلوبية ذلك التطور الذي لحق بالدراسات اللغوية وما نشأ عنه من تمييز بين اللغة والكلام فهذه الدراسات لم تفرق بين الكلام العادي والفني[6]، وهو ما يحيلنا إلى التفريق الذي وظفه دي سوسير بين اللغة والكلام.

اللغة ومفهوم الأسلوبية:

واللغة والأسلوبية أمران متلازمان، يقول بنيدو كروتشي: "فالقوانين اللغوية الموجودة في لغة ما، ما هي إلا قوانين لغوية وأسلوبية في آن واحد"[7] ؛ فاللغة بناء مفروض على الأديب من الخارج، والأسلوب مجموعة من الإمكانيات تحققها اللغة، ويستغل أكبر قدر ممكن منها الكاتب الناجح أو صانع الجمال الباهر الذي لا يهمه تأدية المعنى فحسب بل ينبغي توصيل المعنى بأوضح السبل وأحسنها وأجملها، وإذا لم يتحقق هذا الأمر فشل الكاتب وانعدم معه الأسلوب[8] وهو ما يحيلنا إلى القول القائل: "يطلق الأسلوب على ما قدر من خصائص الخطاب التي تبرز عبقرية الإنسان وبراعته فيما يكتب أو يتلفظ"[9]، "أسلوب نوع النص هو مجموع الأساليب المتضمنة لمجموعة من الحالات الأسلوبية بما فيها من صيغ عادية ثابتة اتفاقا في اللغة المكتوبة والمنطوقة [...] ومن حيث الربط الخاص بين بعض العناصر والوسائل الأسلوبية في اللغة المعينة في الجنس الأدبي" [10]، وأهم ما قدمته اللسانيات من وسائل عمل إلى الأسلوبية بناء على هذه التبعية المطلقة هو:

- "البحث في صوتية العبارة
- "البحث في تركيبية العبارة
- "البحث في دلالية العبارة"[11].

وهذا ما يتلخص في المستوى الدلالي، التركيبي، الصوتي في الدراسات الأسلوبية، " فالأسلوبية هي دراسة الخصائص اللغوية التي يتحول بها الخطاب عن سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثيرية والجمالية" [12]، " والأسلوبية على المستوى النحوي باختيار القيم التعبيرية للبنى النحوية على مستوى بنية الكلمة (ترتيب الكلمات، النفي، الإثبات...) ومستوى الوحدات العليا المتآلفة من جمل بسيطة إذ يتناول هذا المستوى ما تكون عليه اللغة من لغة مباشرة أو غير مباشرة"[13].

اختلفت النظريات اللسانية والأسلوبية بالنسبة إلى تعريف ووصف الأسلوب، أو الحقل الذي تتحرك فيه الأسلوبية، فنجد أن فريمان d.c.freeman حدد الحقل الذي تتحرك فيه الأسلوبية في ثلاثة أنماط:

- الأسلوب بوصفه انزياحا عن القاعدة.
- الأسلوب بوصفه تكرارا للأنماط اللسانية.
- الأسلوب بوصفه استثمارا للإمكانيات النحوية. [14]

فعندما نقول الاستثمار في الإمكانيات النحوية فالمقصود هو أسلوب الاختيار في حيزه الضيق، وقدم ساندرس عدة تعاريف للأسلوبية بداية من تعريفcomte de buffon: "الأسلوب هو الشخص نفسه"[15]، le style est l homme même ، بيفون يرى "أن المعارف والوقائع والاكتشافات تتلاشى، وقد تنتقل من شخص إلى آخر، ويكتبها من هم أدنى مهارة فهذه الأشياء تقوم خارج الإنسان، أما الأسلوب فهو الإنسان نفسه، فالأسلوب إذن لا يمكن أن يزول، ولا ينتقل ولا يتغير"[16]، وهو قول نتحفظ عليه، فالمبتدئ أسلوب يختلف عن أسلوبه بعد خبرته وتمرسه وتراكمات تلحقه بعد ذلك، كما أن تغيير البيئة يستلزم تغيرا في الأسلوب، وهلم جرا. ورولان بارت يسير في هذا الاتجاه فيقول عن الأسلوب: "الأسلوب شيء الكاتب، وهو روعته وسجنه، إنه عزلته، فالأسلوب لا يبالي بالمجتمع، وهو شفاف تجاهه، ولكنه مسعى مغلق للشخص فإنه لا يكون بتاتا نتاج خيار أو تفكير في الأدب إنه الجانب الخصوصي في الطقوس"[17].

وأنهى ساندرس تعاريفه للأسلوب بتعريف سوفينسكي: "الأسلوب هو شكل من أشكال استعمال بدائل لغوية مناسبة، ومحددة استعمالا متواترا لأغراض تعبيرية محددة، إنه شكل من الاستعمال الموحد نسبيا، المتميز مقارنة بالنصوص الأخرى"[18]، أما التعاريف التي تتوسط هذا وذاك، فإنها تدور حول ثلاثة محاور هي:

- الأسلوب الذي يعبر عن الحالة النفسية والتعبيرية.
- الأسلوب الذي يشكل انزياحا.
- الأسلوب بوصفه اختيارا.

وفي الدراسات العربية للأسلوب فإن الدكتور سعد مصلوح يرى بأن الأسلوب هو إما: 1- اختيار (انتقاء)، 2- ردود أفعال، 3- مفارقة (انزياح- انحراف)، 4- إضافة، 5- تضمن[19]، والدكتور حسن ناظم يتطرق إلى الأسلوب من جهة أنه إما: 1- تضمن وإضافة، 2- انزياح، 3- إحصاء، 4- اختيار[20].

فمن المفاهيم السابقة يتجلى لنا أن أسلوب الاختيار وجه مهم من مفهوم الأسلوبية، فالاختيار له الحظ الوافر في كل المناهج الأسلوبية، لأنه حجر الزاوية في كل الأسلوبيات وإن اختلفت مناهجها وتعددت أقسامها، فالمؤلف ينسج نصه أو كلامه وفق اختياراته، فلرسم الصور يختار الدلالة، ومن ثم قد يحتاج إلى صورة من صور كثيرة فيختار إحداها، فيحتاج إلى مفردات فيختار منها، ثم يختار التراكيب... ووفقه يصدر المؤلف نصه، وعليه تطبق كل المناهج النقدية بما فيها الأسلوبية.

الاختيار والأسلوبية:

تنوعت مناهج الأسلوبية وتعددت مفاهيمها، "وشاع في الدراسات الأسلوبية أن الأسلوب اختيار choice فالمنشئ يستطيع أن يختار من إمكانيات اللغة ما يستطيع وما يرى أنه قادر على خدمة رؤيته وموقفه، وما يمكن أن يكون قادرا على خلق استجابة معينة عند المتلقي"[21]. ويرى بعض الباحثين أن اللغة المعينة هي عبارة عن قائمة هائلة من الإمكانات المتاحة للتعبير، ومن ثم فإن الأسلوب يمكن تعريفه بأنه اختيار choice أو انتقاء sélection يقوم به المنشئ لسمات لغوية معينة بغرض التعبير عن غرض معين[22]، وبشكل واضح فإن كل مؤلف يعتمد على الذخيرة العامة للغة في أي حقبة معينة، وأن ما يجعل الأساليب متميزة إنما هو اختيار المفردات وتوزيعها وتشكيلها، وأن تعريف الأسلوب بموجب الاختيار إنما هو تعريف شائع[23]، فصاحب النص يعتمد حسن الاختيار من فكرة، موضوع، ألفاظ، تراكيب، دلالة، صور ليؤثر في المتلقي، فالمؤلف هدفه الأول هو التأثير في المتلقي، حتى يحس بما يريد، أو ما يصل معه أو من غيره إلى أهداف قد تكون محددة من طرف صاحب النص أو غير محددة وفق نظرية موت المؤلف..

وهذا ما يجعل كل مؤلف أو صاحب فكرة أو كلام يعتمد على اللغة، وما تحمل من ألفاظ ودلالات وصور ومفردات وتراكيب... "الأسلوب بوصفه الاختيار الذي يحدد كل نص- ضرورة- من بين عدد معين من الإمكانيات المتضمنة في اللغة"[24]، ومن جهة اللغة "فالأسلوب اختيار لقاموس لغوي أولا ثم اختيار للعلاقات بين عناصر القاموس ثانيا"[25]، ومن جهة التعابير "فإن الاختيار يعني وجود تعبيرين أو أكثر لهما المعنى نفسه بيد أنهما يختلفان في طرائق تأديته[26]، "والاختيار ليس متعلقا بالتعبير فقط ولكن بالتفكير"[27]، هذا القول يجعلنا نسبق فكرة الاختيار بين الألفاظ، التراكيب، الصور... بحسن الاختيار في التفكير، ما معناه حسن اختيار الفكرة، أو الموضوع المطروق، أو حسن التفكير في كل مراحل الإبداع أو التبليغ أو التواصل، وذكر الدكتور صلاح فضل أنواع الاختيارات من الجهة الأسلوبية وهي:

- اختيار غرضه التوصيل.
- اختيار موضوع الكلام.
- اختيار الشفرة اللسانية على مستوى تعدد اللغات واللهجات.
- اختيار نحوي على مستوى الأبنية اللسانية الخاضعة لقواعد نحوية.[28]

الدكتور صلاح فضل حدد الاختيار وفق أربع محددات الأول أن يكون الاختيار للتواصل أو التبليغ وهو مدار اللغة، ثانيا أن يختار الموضوع، وهو بمثابة الفكرة الرئيسة، وثالثا أن يختار اللغة المراد التبليغ بها، رابعا اختيارات نحوية تركيبية، والناظر المتأمل في الاختيار

الأول الذي وضعه الدكتور صلاح فضل وهو اختيار غرضه التواصل، هو اختيار بديهي مسلم به، فهو الأساس في كل عمليات التبليغ أو التواصل، وإنني نظرت في تسلسل إنتاج النصوص أو الأقوال فوجدتها تمر بعدة مراحل، ووفق كل مرحلة لا بد أن تقرن بحسن الاختيار، وهي:

أولا، اختيار الموضوع، أو الغرض... فأول فكرة تراود الإنسان هو موضوع التواصل، دعوة، إصلاح، وصف، هجاء، مدح، تصحيح، تأريخ، ... والاختيار قد يكون طوعيا، ولك الاختيار، أو يكون إلزاميا، بدوافع مختلفة.

ثانيا، اختيار الفكرة، المقصود باختيار الفكرة هو تضييق دائرة الموضوع، كأن تريد أن تمدح إنسانا كموضوع، وتحدد فكرة مدحه في نقاط معينة، وهلم جرا، شيء لا بد من ذكره هنا هو أن الفكرة قد تسبق الموضوع، فقد يحدد الإنسان فكرة معينة أولا ثم يجد نفسه في موضوع يشملها.

ثالثا، اختيار الشفرة اللسانية المناسبة، فقد تكون رمزا أو تلويحا أو إشارة أو لغة منطوقة أو لهجة... فهو اختيار مهم حتى يكون التواصل ناجحا، فاختيار الشفرة اللسانية المناسبة عنصر مهم في التواصل، فلو لم يفهمها المرسل إليه أو المتلقي فلا تواصل هناك، أمر مهم هنا وهو في بعض المرات تختار لغة مهيمنة على النص وقد تطعم بلهجات أو لغات أخرى، وهو ما نجده في روايات عند كتاب متميزين، كأن يجعلوا النص مزيجا من لغة فصيحة ولغة عامية، إدراكا منهم أنهم يخاطبون كل المستويات، أو لجمالية أخرى، وبخصوص المستويات، وجب اختيار اللغة المناسبة لكل مستوى، فلغة أدب الطفل ليست كمستوى لغة الجمهور الآخر بكل مستوياته، وتعدداته، وقس على هذا المثال.

رابعا، اختيار الدلالة أو الدلالات المناسبة، فهو المدار والمركز، وهنا وجب اختيار دلالات صغرى متمثلة في الجمل أو المفردات لتخدم الدلالة الكبرى أو الكلية للنص، حقيقة هناك مفردات أو تراكيب لها عدة دلالات متعددة، وهنا وجب توظيف السياق لتحديد الدلالة المقصودة المغلقة، أو فتح الدلالة على دلالات أخرى أو ما يعرف بالدلالة المفتوحة، بما معنى تعدد الدلالات للفظ والتراكيب وهنا وجب توظيف الجمالية فيها لا أن تترك هكذا فتؤخذ إلى غير مقصدها، أضف إلى ذلك أن مدار النص أو اللفظ أو التراكيب كله على الدلالة، فوجب اختيارها بعناية، حتى توضح المقصود وتقرب الهدف المنشود، وتؤثر في القارئ.

خامسا، اختيار الألفاظ والمفردات، فكل لفظ له دلالته، ولا يمكن أن يقترب لفظ من لفظ آخر من حيث الدلالة، وإن كان مرادفا له، فالمترادفات تشترك في الدلالة الكلية، ولكل منهما دلالة جزئية، فمثلا: مس، لمس، جس كل هذه الألفاظ تشترك في تحسس أمر ما أو وضع شيء على

آخر لتحسسه، ولكن لكل لفظ استعمال دلالي خاص وسياق يوضع فيه، والأمثلة كثيرة، فوجب اختيار الألفاظ بشكل دقيق، وفق ما تقتضيه علوم اللغة من بلاغة وفقه لغة وعروض، ووفق ما تقتضيه الدلالة في التركيب أو للنص، وما قلناه عن الألفاظ يشمل الحروف طبعا فلكل حرف جر أو عطف له معان مختلفة ومتعددة، وجب مراعاتها، والمتمكن على سبيل المثال يعرف متى يستعمل حرف الواو عطفا أو معية، فلكل دلالة خاصة به.

سادسا، اختيار التراكيب أو التعابير الدالة الموحية المؤثرة، وفق مبادئ علوم اللغة العربية (نحو وصرف، بلاغة، فقه اللغة، عروض...)، ووفق السياق العام للنص واتساقه وانسجامه، وبما يخدم الدلالة فيها وفي النص، والتركيب يعني رصف المفردات في تركيب مفهوم لا لبس فيه، إلا إن اقتضت الضرورة بالإبهام أوالتلميح... وهو جانب وجب مراعاته إلا لجمالية خاصة في النص.

سابعا، اختيار الوسائل، الوسائل هنا نقصد بها الصور البيانية، التشبيهات، الاستعارات، الكنايات، التلميح، الاقتباس، التضمين، الرمز، التورية، الاستشهادات من قرآن وحديث، وشعر وقصص... فهي تقوي الحجة وتزكي الرأي، وتساعد على الفهم والتخيل، فهي تساهم في إبراز الفكرة وتوضيح المعنى وتقريب المفاهيم، وما جمالية الأدب إلا وفق هذا، بل إن هذه الوسائل وحسن اختيارها كانت وما زالت معيارا نقديا بها يفهم الأدب ووفقها يصنف الشعراء والكتاب، وبها يمارس النقد.

ثامنا، اختيار العرض والمنهج، المقصود هنا مباشرة هو السياق العام للنص واتساقه وانسجامه بشكل عام وواضح، واتساق النص وانسجامه يغنينا عن الشرح الذي يطول لو فسرناه، ويكون مع حسن العرض أو الطرح، بترتيب الأفكار تسلسليا لا تنافر بينها، ويكون بحسن مدخل وحسن مخرج أو انتهاء، حتى إن العلماء الأوائل جعلوا حسن المدخل وحسن الخروج أو الانتهاء كباب من أبواب البلاغة، فقالوا في حسن المخرج أو الانتهاء أن يكون واضحا ومحددا قصيرا يحمل ما تريد قوله كفكرة رئيسة لأن حسن الانتهاء هو آخر ما يقع في الأذن.

وكون الأسلوب عند هؤلاء الباحثين اختيارا لا يعني أن كل اختيار يقوم به المنشئ لا بد أن يكون أسلوبيا، إذ علينا أن نميز بين نوعين مختلفين من الاختيار: اختيار محكوم بسياق المقام، واختيار تتحكم فيه مقتضيات التعبير الخالصة:

أما **النوع الأول** فهو انتقاء نفعي مقامي pragmatic sélection ربما يؤثر فيه المنشئ كلمة (أو عبارة) على أخرى لأنها أكثر مطابقة – في رأيه – للحقيقة أو لأنه – على عكس ذلك – يريد أن يضلل سامعه أو يتفادى الاصطدام بحساسيته تجاه عبارة أو كلمة معينة[29]، أي اختيار المفردات والألفاظ الدالة، الموحية، الجزلة، المناسبة، والتراكيب حتى لا يكون هناك

إبهام أو غموض أو لبس، ولا تتعارض هذه المفردات والألفاظ والتراكيب مع ما يريده القارئ، وعلينا أن نضع في حسباننا أن القراء لهم مستويات ومراتب متعددة، وتوجهات مختلفة... والمؤلف الفذ المتمكن هو من يخاطب هذه الأصناف المختلفة ويرضي الجميع، وأن يجعل لنصه عدة أوجه، وكل واحد يختار الوجه الذي يحبه، من غير تعارض في النص أو تنافر، فهذا وجه من أوجه الجماليات في النص.

أما **النوع الثاني** فهو انتقاء نحوي grammatical sélection والمقصود بالنحو في هذا المصطلح قواعد اللغة بمفهومها الشامل الصوتية والصرفية والدلالية، ونظم الجملة، ويكون هذا الانتقاء حين يؤثر المنشئ كلمة على كلمة أو تركيبا على تركيب لأنها أصح عربية أو أدق توصيل ما يريد ويدخل تحت هذا النوع من الانتقاء كثير من موضوعات البلاغة المعروفة كالفصل والوصل والتقديم والتأخير والذكر والحذف...[30]، أي اختيار التراكيب المناسبة، والدالة، وتتفق مع مبادئ اللغة، وقواعدها ونظرياتها.

عندما نختار الألفاظ والتراكيب لا يعني هذا أن الأمر قد انتهى، فهناك عنصر مهم في الاختيار الأسلوبي، "فالسياق عنصر مهم في عملية الاختيار وأن السياق يجب أن يكون نسقا متكاملا بريئا من الخلل وقادرا على تأدية العملية الإبداعية التي يتوخى المبدع نقلها إلى القارئ ولا يستطيع المنشئ أيضا أن يحدث خللا في قواعد اللغة أو معجمها لأنه محكوم بقواعدها وأصولها"[31]، فالسياق هو ما يحيلنا مباشرة إلى الفكرة، وإن كان السياق يحمل الخلل فلا يمكن الوقوف على مرام المؤلف، وإن كان للقارئ أن يهمل دور المؤلف وفق نظرية القارئ، بما معناه أن النص لا يخدم القارئ وقد يوهم أفق انتظاره، فالاختيار الأسلوبي مرتبط كل الارتباط بالسياق.

غير أن الانتقاء أو الاختيار في الأسلوبية له حدود تجعله يدخل في الأسلوبية أو يكون خارجا عنها "فميز إينكفيست بين الانتماء الأسلوبي وغير الأسلوبي عند اختيار ما هو صحيح نحويا من بين الإمكانات المختلفة للغة بقوله: "يبدو أن الاختيار الأسلوبي هو اختيار بين وحدات تكاد تتساوى دلاليا، وأما غير الأسلوبي فقد يكون انتقاء بين دلالات متعددة"[32]، فعند الاختيار بين معان لها دلالات متعددة فهو اختيار غير أسلوبي، والعكس صحيح إن كان من بين دلالات تكاد تكون متساوية، وهنا تظهر الاعتباطية والقصدية في الاختيار والانتقاء، فساندريس أخرج الاختيار الاعتباطي من دائرة الأسلوبية فيقول: "إن الاختيار الأسلوبي لا يمكن أن يكون اختيارا كيفيا أو اعتباطيا إنما اختيار من دائرة محددة من إمكانيات التعبير اللغوية التي تناسب صياغة الفكرة المحددة"[33]، وتجدر الإشارة إلى أهمية ما بين الأسلوب اللغوي العفوي والأسلوب بشكل عام من العلاقة ولهذا يفرق ريفاتير بين الانتقاء

العفوي النسبي الذي يقوم به المتكلم العادي للغة وبين الانتقاء الهادف الذي تؤديه التعبيرية الأسلوبية فيصور بهذه المقابلة الازدواجية الصيغتين الأسلوبيتين تصويرا مفيدا[34]، وعند هذا نقف على ما قاله الدكتور فاتح علاق: "فليس كل اختيار يعد من الأسلوبية"[35]، ومما سبق يرتبط الاختيار(الانتقاء) بالأسلوبية بشروط:

- أن يكون غير عفوي أو اعتباطي، بل له مبرراته ومراميه.

- أن لا يكون من بين دلالات متعددة أي بينها فروق، بل من دلالات متقاربة، دلالات صغرى تخدم دلالة النص الكبرى، وأن تكون بحسن اختيار حتى لا يلتبس الأمر على القارئ، وإن كان الرمز والتلميح والتورية... من الأمور الغامضة التي قد تستعصي على القارئ، ولكن لها جمالياتها، فوجب توظيفها وفق جمالياتها، ووظيفتها.

- أن يرتبط بسياق مقامي نفعي.

- أن لا يتعارض الاختيار مع مقومات اللغة (صوتي، صرفي، تركيبي، دلالي، معجمي، بلاغي...) بل وفقها يكون الاختيار.

- أن لا يتعارض مع قيم جمهور القراء المختلفين المتعددين، فمن جماليات النص التوفيق بين جمهور القراء المتعدد، من غير نفاق ولا مداهنة، بل المؤلف الفذ هو من يجعل كل قارئ يتخيل نفسه أنه هو المخاطب.

- أن تكون الألفاظ مختارة بعناية تخدم الدلالة في العبارة والنص، وهو ما يقال أيضا عن التراكيب.

- أن يسبق كل هذا وذاك بحسن اختيار الفكرة والموضوع وحسن التفكير، والتفكير عبر كل المراحل، فقد يكون هناك تغيير لفظ بلفظ أو تركيب بتركيب... وهو ما وجدناه عند فطاحلة الشعراء، فهذا زهير بن أبي سلمى نظم قصائد عرفت بالحوليات، فقد كان ينظم القصائد في حول كامل، يراجع فيها اختياراته، فيعدلها وينقحها، ويغير... فهو ليس عيبا.

وإذا انتقلنا من تميز الفروق بين الأساليب إلى الحكم والتقويم فليس بنادر أن تجد مثل هذا القارئ ينفر من أسلوب ما، لأنه يتسم في رأيه بالجفاف أو الرتابة أو الصعوبة والتعقيد وينعطف إلى أسلوب آخر لأنه يتصف في ميزانه بالثراء والتنوع أو اليسر والتشويق وغير ذلك من الألقاب والأوصاف، وليس بنادر أيضا أن تجد اتفاقا في الحكم على بعض النصوص بين عدد كبير من القراء المتذوقين[36]، خاصة إذا علمنا بأن "نفس المدلول يتم التعبير عنه عن طريق عدد من الدوال في نفس الثقافة أو في ثقافات مختلفة، ونفس الدال يتوافق مع مدلولات مختلفة في نفس الثقافة أو في ثقافات مختلفة"[37].

ومما يقال هنا أن أسلوب الاختيار هو المهم في الدراسات الأسلوبية بل يمس كل الجوانب في الدراسات الأسلوبية بدءا من المؤلف والناقد الأسلوبي والقارئ وفق نظرية القراءة، وكل المناهج الأسلوبية المتعددة، وله مراحل يجب أن يمر بها لتحقيق التأثير في القارئ، وله شروط وجب احترامها فيه حتى يلحق الاختيار بمفهوم الأسلوبية ويخدم جوانبها، بل مدار الأدب والنقد هو الاختيار وأكبر دليل هو القصائد الحوليات، فنجد الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى يضع قصائده في حول كامل يصول ويجول بين جوانب التنقيح والتعديل والتغيير، ودافعه الأكيد أنه لم يوفق في لفظ أو تركيب أو رسم صورة فكان يعدل وينقح ويغير لفظا بلفظ أو تركيبا بتركيب... حتى يحسن اختياره، وتخرج قصيدته في حلة أدبية ولها من الدلالات ما يجعلها تؤثر في القارئ، ويحصل صاحبها على مراده المنشود.

وإن رعيت مراحل الاختيار والحسن فيها واحترمت شروط الاختيار، كان الأسلوب مقبولا مؤثرا له دلالته وجمالياته...

هوامش البحث:

(1) د. فاتح علاق، التحليل الأسلوبي للخطاب الشعري، مجلة اللغة والأدب، تصدر عن قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ع 18، نوفمبر 2008، ص 93- 94.

(2) د. موسى سامح ربابعة، الأسلوبية – مفاهيمها وتجلياتها –، دار الكندي للنشر والتوزيع، أربد، الأردن، ط1، 2003، ص9.

(3) حسن ناظم، البنى الأسلوبية، - دراسة أسلوبية في " أنشودة المطر" للسياب- ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص 31.

(4) د.صلاح فضل، علم الأسلوب- مبادئه وإجراءاته- ، ص 17.

(5) Ferdinand de Saussure cours de linguistique générale. enag. alger. 2éd. 1994. p37

(6) ينظر، د. فاتح علاق، التحليل الأسلوبي للخطاب الشعري، ص 92.

(7) فيلي ساندرس، نحو نظرية أسلوبية لسانية، ترجمة خالد محمود جمعة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2003، ص64.

(8) ريمون الطحان، الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1972، ص 116- 117.

(9) Jean lerond d'Alembert. Mélanges de littérature et de philosophie. p 23

نقلا عن الأسلوبية والأسلوب، د. عبد السلام المسدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط5، 2006، ص56

(10) فيلي ساندرس، نحو نظرية أسلوبية لسانية، ص 191- 192.

(11) Pierre Guiraud, La stylistique, Paris, PUF, 1979. p 80

(12) د.نـور الـدين السد ،الأسـلوبية وتحليـل الخطـاب، دار هومـة للنشـر والتوزيـع، بوزريعـة، الجزائر، ج1، ص 93

(13) د.صلاح فضل، علم الأسلوب- مبادئه وإجراءاته - ، ص 138.

(14) د.حسن ناظم، البنى الأسلوبية، ص 43.

(15) comte de Buffon. Discours sur le style. P 13.

نقلا عن، نحو نظرية أسلوبية لسانية، فيلي ساندرس، ص 29.

(16) د. صلاح فضل، علم الأسلوب- مبادئه وإجراءاته - ، ص 84.

(17) Roland Barthes, le degré zéro de l écriture. P13.

(18) ب. سوفينسكي، أسلوبية اللغة الألمانية، ص 27، نقلا عن، نحو نظرية أسلوبية لسانية، فيلي ساندرس، ص 46.

(19) ينظر، سعد مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص 37- 45.

(20) ينظر،د. حسن ناظم، البنى الأسلوبية، ص 40 وما بعدها.

(21) د. موسى سامح ربابعة، الأسلوبية – مفاهيمها وتجلياتها –،ص26.

(22) د. سعد مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية،ص 37- 38.

(23) Katie Wales. A dictionary of stylistics.p436 .

(24) د.حسن ناظم، البنى الأسلوبية، ص 54- 55.

(25) د. فاتح علاق، التحليل الأسلوبي للخطاب الشعري، ص 103.

(26) د.حسن ناظم، البنى الأسلوبية،ص 56.

(27) د.صلاح فضل، علم الأسلوب- مبادئه وإجراءاته - ،ص 105.

(28) ينظر د.صلاح فضل، علم الأسلوب- مبادئه وإجراءاته - ، ص 100- 103.

(29) سعد مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص 38.

(30) سعد مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص 39.

(31) د. موسى سامح ربابعة، الأسلوبية – مفاهيمها وتجلياتها –، ص32.

(32) فيلي ساندرس، نحو نظرية أسلوبية لسانية،ص 133.

(33) فيلي ساندرس، نحو نظرية أسلوبية لسانية،ص 133.

(34) ينظر ميكائيل ريفاتير، معايير التحليل الأسلوبي، ص 89، وكذلك، فيلي ساندرس، نحو نظرية أسلوبية لسانية، ص 143.

(35) ينظر، د. فاتح علاق، التحليل الأسلوبي للخطاب الشعري، ص92 .

(36) د. سعد مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص 25.

(37) مجموعة من الباحثين، في تغير المعنى ومعنى التغير،ترجمة د.عبد الحميد بورايو، مجلة اللغة والأدب ع 16 ديسمبر 2003، ص 202.